

Chèque : la prescription de l'action en paiement ne bénéficie pas au tireur n'ayant pas fait provision (Cass. com. 2021)

Identification			
Ref 44479	Juridiction Cour de cassation	Pays/Ville Maroc / Rabat	N° de décision 727/1
Date de décision 28/10/2021	N° de dossier 2020/3/3/1354	Type de décision Arrêt	Chambre Commerciale
Abstract			
Thème Chèque, Commercial		Mots clés قرارات محكمة النقض, Tireur, Provision du chèque, Prescription, Porteur, manque de base légale, Enrichissement indû, Effets de commerce, Chèque, Cassation, Action en paiement, Absence de provision	
Base légale Article(s) : 295 - Dahir n° 1-96-83 du 15 rabii I 1417 (1er août 1996) portant promulgation de la loi n° 15-95 formant code de commerce		Source Non publiée	

Résumé en français

Il résulte du dernier alinéa de l'article 295 du Code de commerce qu'en cas de prescription de l'action cambiaire, le porteur conserve une action contre le tireur qui n'a pas fait provision. Encourt par conséquent la cassation pour manque de base légale l'arrêt qui déclare prescrite l'action en paiement du porteur d'un chèque contre le tireur, sans vérifier au préalable si ce dernier avait constitué la provision nécessaire, condition pour qu'il puisse bénéficier de la prescription.

Texte intégral

محكمة النقض، الغرفة التجارية، القرار عدد 1/727، المؤرخ في 2021/10/28، في الملف عدد 2020/3/3/1354

بناء على مقال النقض المودع بتاريخ 2020-07-22 من طرف الطالب المذكور حوله بواسطة نائبه الأستاذ محمد (س.) الرامي إلى نقض القرار رقم 6429 الصادر بتاريخ 2019/12/26 عن محكمة الاستئناف التجارية بالدار البيضاء في الملف عدد:

وبناء على الأوراق الأخرى المدلى بها في الملف.

وبناء على قانون المسطرة المدنية المؤرخ في 28 شتنبر 1974 كما وقع تعديله وتتميمه.

وبناء على الأمر بالتخلي والإبلاغ الصادر في 2021/09/30.

وبناء على الإعلام بتعيين القضية في الجلسة العلنية المنعقدة بتاريخ 2021/10/28.

وبناء على المناداة على الطرفين ومن ينوب عنهما وعدم حضورهم.

وبعد تلاوة التقرير من طرف المستشار المقرر السيد محمد رمزي والاستماع إلى ملاحظات المحامي العام السيد رشيد بناني.

وبعد المداولة طبقا للقانون:

حيث يؤخذ من وثائق الملف والقرار المطعون فيه أن الطالب إبراهيم (م.) تقدم بمقال أمام المحكمة التجارية بالدار البيضاء عرض فيه أنه دائن للمطلوب محمد (س.) بمبلغ 201.290,00 درهم مترتب عن ثلاث شيكات كان قد سلمهم إليه إثر معاملات تجارية بينهما مسحوبة عن (م. م.) (...). إلا أنه عند تقديمها لاستخلاص قيمتها رجعت بملاحظة انعدام الرصيد. وأنه امتنع عن أداء المبلغ المذكور رغم إنذاره، ملتصقا بالحكم عليه بأن يؤدي له المبلغ المذكور ومبلغ 25.000,00 درهم تعويضا عن التماطل، مع النفاذ المعجل وتحديد مدة الإكراه البدني في الأقصى ... وبعد صدور حكم عارض قضى باختصاص المحكمة التجارية للبت في النزاع واستيفاء الإجراءات المسطرية قضت المحكمة على المدعى عليه بأن يؤدي للمدعي مبلغ 201.290,00 درهم وتعويضا عن التماطل قدره 10.000,00 درهم وتحديد مدة الإكراه البدني في الأدنى وشمول الحكم بالنفاذ المعجل في حدود الأصل ورفض باقي الطلبات. استأنفه المحكوم عليه استئنافا أصليا والمحكوم له استئنافا فرعيا. وبعد الجواب، قضت محكمة الاستئناف التجارية بإلغاء الحكم المستأنف وحكمت من جديد برفض الطلب وردت الاستئناف الفرعي، بقرارها المطعون فيه بالنقض.

في شأن الوسيلة الأولى:

حيث من جملة ما يعيب به الطالب القرار، خرق مقتضيات المادة 295 من مدونة التجارة والفصلين 381 وما بعده والفصل 387 من ق ل ع ، ذلك أنه ورد فيه بصفحته الأخيرة « حيث أنه بخصوص ما تمسك به الطاعن من كون الدعوى الحالية قد طالها التقادم لكون الشيكات موضوع الدعوى وقعت سنة 2013، ولم يشعره المستأنف عليه بالمدىونية إلا بتاريخ 11-10-2017، وأنه لم يتقدم بالدعوى للمطالبة بالمبالغ المثبتة بها إلا بعد مرور أجل تقادم الأوراق التجارية، فإنه وبصرف النظر عن الدفع التي تمسك بها المستأنف فإن الشيكات الثلاثة موضوع الدعوى تم إنشائها بتاريخ 24-10-2013 و 25-10-2013 وتاريخ تقديمها للمطالبة القضائية بتاريخ 19-11-2018 حسب تأشيرة الصندوق على المقال؛ وبالتالي تكون قد طالها التقادم عملا بمقتضيات المادة 295 من م ت، والتي جاء فيها « أنه تتقادم دعوى الحامل ضد المظهرين والساحب والملتزمين الآخرين بمضي ستة أشهر ابتداء من تاريخ انقضاء أجل التقديم »، الأمر الذي يترتب عنه سقوط الدعوى بخصوصها في مواجهة الساحب أي المستأنف.. «؛ والحال أن الفقرة الأخيرة من المادة 295 من م ت تنص صراحة على أنه « غير أنه في حالة سقوط أجل الرجوع أو التقادم يبقى الحق في تقديم دعوى ضد الساحب الذي لم يقدم مقابلا للوفاء أو ضد الملتزمين الآخرين الذين قد يحصل لهم إثناء غير مشروع »، سيما وأن الطالب لم يتقدم بدعواه في إطار الأوراق التجارية وإنما تقدم بها على أساس أنه دائن للمطلوب بمبلغ 201.290,00 درهم، حيث أقر هذا الأخير بالمدىونية قضائيا في المرحلة الابتدائية، وتوصله الشخصي بإشعار 11-10-2017 عن طريق البريد المضمون مع الإشعار بالتوصل ملتصقا بالحكم بعدم الاختصاص النوعي. كما أن القرار اعتبر أن النزاع يدخل في باب دعاوى الحامل ضد المظهرين والساحب والملتزمين الآخرين، مع أن الفقرة الأخيرة من المادة 245 من م ت تؤكد نفسها على أن « بقاء الحق في تقديم الدعوى ضد الساحب الذي لم يقدم مقابلا للوفاء والذي

يحصل له إثراء غير مشروع « كما هو الحال في هذه النازلة... مما يجعل القرار المطعون فيه غير مرتكز على أساس لخرقه مقتضيات الفقرة الأخيرة من المادة 295 من م ت .. ويتعين التصريح بنقضه.

حيث تنص المادة 295 من مدونة التجارة على أنه « تتقادم دعوى الحامل ضد المظهرين والساحب والملتزمين الآخرين بمضي ستة أشهر ابتداء من تاريخ انقضاء أجل التقديم.

تتقادم دعاوى مختلف الملتزمين بوفاء شيك بعضهم في مواجهة البعض الآخر بمضي ستة أشهر ابتداء من يوم قيام الملتزم برد مبلغ الشيك أو من يوم رفع الدعوى ضده.

تتقادم دعوى حامل الشيك ضد المسحوب عليه بمضي ستة أشهر ابتداء من انقضاء أجل التقديم.

غير أنه في حالة سقوط حق الرجوع أو التقادم يبقى الحق في تقديم دعوى ضد الساحب الذي لم يقدم مقابلاً للوفاء أو ضد الملتزمين الآخرين الذين قد يحصل لهم إثراء غير مشروع «.

المقتضى القانوني الذي من خلاله منح المشرع الحق لحامل الشيك في الرجوع على الساحب الذي لم يقدم مقابلاً للوفاء. ودعوى نازلة الحال، هي دعوى أداء أقامها حامل الشيك ضد الساحب. والمحكمة التي قضت بتقادمها، دون أن تتأكد من أن الساحب قدم مقابلاً للوفاء حتى يستفيد من التقادم، يكون تعليلاً سيئاً يوازي انعدامه، عرضت معه قرارها للنقض.

حيث إن حسن سير العدالة ومصلحة الطرفين يقتضيان إحالة القضية على نفس المحكمة مصدرة القرار المطعون فيه.

لهذه الأسباب

قضت محكمة النقض بنقض القرار المطعون فيه وإحالة القضية على نفس المحكمة مصدرة لإعادته البت فيه من جديد طبقاً للقانون وهي متركة من هيئة أخرى وتحميل المطلوب المصاريف.

Version française de la décision

Cour de cassation, Chambre commerciale, Arrêt n° 727/1, du 28/10/2021, dans le dossier n° 1354/3/3/2020.

Vu le pourvoi en cassation déposé le 22-07-2020 par le demandeur susnommé, par l'intermédiaire de son avocat Maître Mohamed (S.), tendant à la cassation de l'arrêt n° 6429 rendu le 26/12/2019 par la Cour d'appel de commerce de Casablanca dans le dossier n° 5158/8203/2019.

Vu les autres pièces produites au dossier.

Vu le Code de procédure civile du 28 septembre 1974, tel que modifié et complété.

Vu l'ordonnance de dessaisissement et de communication du 30/09/2021.

Vu l'avis de fixation de l'affaire à l'audience publique du 28/10/2021.

Vu l'appel des parties et de leurs représentants et leur non-comparution.

Après lecture du rapport par le conseiller rapporteur, Monsieur Mohamed Ramzi, et audition des observations de l'avocat général, Monsieur Rachid Bennani.

Et après en avoir délibéré conformément à la loi :

Attendu qu'il résulte des pièces du dossier et de l'arrêt attaqué que le demandeur au pourvoi, Ibrahim (M.), a saisi le Tribunal de commerce de Casablanca d'une requête dans laquelle il a exposé être créancier du défendeur au pourvoi, Mohamed (S.), de la somme de 201.290,00 dirhams, correspondant à trois chèques que ce dernier lui avait remis suite à des transactions commerciales entre eux, tirés sur (M. M.) ; que cependant, à leur présentation pour encaissement, ils ont été retournés avec la mention « provision insuffisante ». Qu'il a refusé de payer ladite somme malgré sa mise en demeure, sollicitant sa condamnation à lui payer ladite somme ainsi qu'un montant de 25.000,00 dirhams à titre de dommages et intérêts pour retard de paiement, avec exécution provisoire et fixation de la contrainte par corps à son maximum... Après le prononcé d'un jugement incident déclarant la compétence du Tribunal de commerce pour statuer sur le litige et l'accomplissement des formalités procédurales, le tribunal a condamné le défendeur à payer au demandeur la somme de 201.290,00 dirhams ainsi qu'une indemnité pour retard de paiement d'un montant de 10.000,00 dirhams, a fixé la durée de la contrainte par corps à son minimum, a ordonné l'exécution provisoire pour le principal et a rejeté le surplus des demandes. Le condamné a interjeté appel principal et le bénéficiaire du jugement a interjeté appel incident. Après réponse, la Cour d'appel de commerce a infirmé le jugement entrepris et, statuant à nouveau, a rejeté la demande et a rejeté l'appel incident, par son arrêt, objet du présent pourvoi en cassation.

Sur le premier moyen de cassation :

Attendu que le demandeur au pourvoi reproche notamment à l'arrêt la violation des dispositions de l'article 295 du Code de commerce et des articles 381 et suivants ainsi que de l'article 387 du Dahir formant Code des obligations et des contrats, en ce qu'il a énoncé en sa dernière page : « Attendu que, s'agissant de l'argument soulevé par l'appelant selon lequel l'action en cours est prescrite, au motif que les chèques objets du litige ont été émis en 2013, que l'intimé ne l'a avisé de la créance qu'en date du 11-10-2017, et qu'il n'a intenté l'action en paiement des montants y figurant qu'après l'expiration du délai de prescription des effets de commerce, il y a lieu de relever que, nonobstant les exceptions soulevées par l'appelant, les trois chèques objets du litige ont été créés les 24-10-2013 et 25-10-2013 et que la date d'introduction de la demande en justice est le 19-11-2018, selon le visa de la caisse apposé sur la requête ; par conséquent, ils sont atteints par la prescription en application des dispositions de l'article 295 du Code de commerce, lequel dispose que 'l'action du porteur contre les endosseurs, le tireur et les autres obligés se prescrit par six mois à partir de l'expiration du délai de présentation', ce qui entraîne l'extinction de l'action y afférente à l'encontre du tireur, c'est-à-dire l'appelant... » ; alors que le dernier alinéa de l'article 295 du Code de commerce énonce expressément que « toutefois, en cas de déchéance ou de prescription, l'action subsiste contre le tireur qui n'a pas fait provision ou contre les autres obligés qui se seraient enrichis indûment », d'autant plus que le demandeur au pourvoi n'a pas fondé son action sur le droit cambiaire, mais l'a intentée en sa qualité de créancier du défendeur au pourvoi de la somme de 201.290,00 dirhams, lequel a d'ailleurs judiciairement reconnu la dette en première instance, et a personnellement reçu l'avis du 11-10-2017 par lettre recommandée avec accusé de réception, tout en sollicitant un jugement d'incompétence d'attribution. De plus, l'arrêt a considéré que le litige relevait de l'action du porteur contre les endosseurs, le tireur et les autres obligés, alors que le dernier alinéa de l'article 295 du Code de commerce confirme lui-même « la subsistance du droit d'action contre le tireur qui n'a pas fait provision et qui se serait enrichi indûment », ce qui est le cas en l'espèce... ce qui rend l'arrêt attaqué dénué de base légale pour violation des dispositions du dernier alinéa de l'article 295 du Code de commerce... et justifie sa cassation.

Attendu que l'article 295 du Code de commerce dispose que : « Les actions du porteur contre les

endosseurs, le tireur et les autres obligés se prescrivent par six mois à partir de l'expiration du délai de présentation.

Les actions des divers obligés au paiement d'un chèque les uns contre les autres se prescrivent par six mois à partir du jour où l'obligé a remboursé le chèque ou du jour où il a été lui-même actionné.

L'action du porteur du chèque contre le tiré se prescrit par un an à partir de l'expiration du délai de présentation.

Toutefois, en cas de déchéance ou de prescription, l'action subsiste contre le tireur qui n'a pas fait provision ou contre les autres obligés qui se seraient enrichis indûment ».

Disposition légale par laquelle le législateur a accordé au porteur du chèque le droit de recours contre le tireur qui n'a pas constitué la provision. L'action en l'espèce est une action en paiement intentée par le porteur du chèque contre le tireur. La cour d'appel, qui a prononcé la prescription sans vérifier si le tireur avait constitué la provision pour pouvoir bénéficier de ladite prescription, a entaché sa décision d'une motivation défailante équivalente à un défaut de motifs, l'exposant ainsi à la cassation.

Attendu que la bonne administration de la justice et l'intérêt des parties commandent le renvoi de l'affaire devant la même juridiction qui a rendu l'arrêt attaqué.

PAR CES MOTIFS

La Cour de cassation casse et annule l'arrêt attaqué et renvoie l'affaire devant la même juridiction qui l'a rendu pour qu'il y soit statué à nouveau conformément à la loi, autrement composée, et condamne le défendeur au pourvoi aux dépens.